يضطهدونهم. تحصنوا في جبال /اليانغ/ وتحدوا الجيش الذي أُرسل جندهم. إن النجاح الكبير الذي لقيته هذه الرواية جعل /تشين جين جوى/ يضعها في المرتبة الخامسة للأعمال العبقرية إلى جانب: تشوانغ ـ تسو، سما تشان و/توفو/، والرثاء الغارق في الألم، ومآساة: ملاحظات الجناح الجانبي.

لقد منعت كثيراً رواية /ضفاف الماء/ بسبب الموحيات الثورية. وبالفعل، كان أبطال الرواية يسلبون الأغنياء لحماية الفقراء والمضطهدين واليوم تقدم على أنها الرواية الشيوعية الأولى.

ومثل الشعر، جُمعت القصص في مجموعات قصصية. لنذكر «تشين فوكي قوان» (مرآة أحداث الماضي والحاضر الغريبة) والـ/الياوشياتشي/ (قصص غريبة لمقصورة دراسة) التي تضم حكايات خيالية.. فالعجيب يحتل حيزاً هاماً في الآداب الخيالية الصينية.

وسنرى مثلاً جميلاً من هذا الأدب في قصة قصيرة قديمة جداً يقوم ببطولتها / تشوانغ ـ تسو/ بدور الساحر العظيم. توضح القصة موقف /تشوانغ ـ تسو/ من النساء:

(الحكيم ليس عاطفياً، إنه يعتبر الكائنات البشرية مثل الكلاب، لاقيمة لها، تحيط بمذبح الأضحية). هذا هو المبدأ الطاوي. ولكن هذه الكلبية «التي وجدناها أيضاً عند يانغ ـ تسو» ربما ليست إلا رد فعل ضد نفاق المجتمع الكنفوشيوسي الجامد في طقوسه وفي آداب السلوك.

وهذه القصة معروفة تحت عنوان ذي مغزى «الأرامل عديمات الوفاء» وإليكم ترجمة حديثة لها.

الأرامل عديمات الوفاء:

ذات يوم كان /تشوانغ ـ تسو/ يتنزه، وبينما كان غارقاً في أفكاره، وصل إلى سفح جبل، وفجأة وجد نفسه محاطاً بالقبور.

«وآأسفاه! صرخ الحكيم، هنا الجميع متساوون حيث تزول المراتب والامتيازات. فأجهل الناس يرقد إلى جانب الأكثر علماً. القبر هو بحق المثوى الأخير للجميع، وحالما نأخذ مكاننا فيه، لايبقى طريق للعودة».

توقف لحظة، تحت تأثير أفكاره السوداوية. ثم استأنف نزهته. بمحاذاة صفوف القبور. وفجأة لاحظ شاهدة قبر نُصبت حديثاً وإلى جانبها امرأة شابة في لباس الحداد